مساهمة المرأة في الثّورة الجزائريّة: مريم مختاري نموذجا

The Contribution of Women in the Algerian Revolution: Maryam Mokhtari as a Model

دة. ياقوت كلاخي- Kalakhi Yakout- صص50- 61
أستاذة محاضرة أ في التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة ابن خلدون- تيارت
البريد الإلكتروني: ykalakhi444@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2019/09/04 تاريخ المراجعة: 2019/09/04 تاريخ القبول:2019/09/08

الملخص: اهتمّ المؤرخون والباحثون الجزائريون في حقل الدّراسات التّاريخيّة المعاصرة بمرحلة الثّورة التّحريريّة باعتبارها ركيزة أسّاسيّة للتّاريخ الوطني، ونظرا لما قامت به المرأة الجزائريّة على مستوى الهياكل القاعديّة للثورة، و في إطار كتابة التّاريخ المحلّي، وانتهاز فُرص الاستفادة ممّا تبّقى من المجاهدين على قيد الحياة، ونفْض الغبار عن المجاهدات اللّواتي لم تحظيْنّ بالاهتمام الكافي من طرف المؤرخين والباحثين، ارتأيتُ أن أسلّط الضّوء على المجاهدة مريم مختاري، من منطقة تيارت، وعلى الظّروف والأسباب الدّاعيّة لالتحاقها مع غيرها من الجزائريّات رغم صِغر أعمارهنّ، اللّواتي قدّمنّ شبابهنّ وأرواحهنّ من أجل رفع راية الحريّة والاستقلال، حيث انضمّت إلى الثّورة في سنّ السّابعة عشر من عمرها، وكان أوّل التحاق لها بالمنطقة السّادسة من الولاية الخامسة يوم 19 نوفمبر 1956 رفقة أبناء المنطقة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر بن ختو علي، وبوشارب النّاصر وحلوز أحمد، وغيرهم الذين تعلّمت برفقتهم حرب العصابات، وكيفيّة حمل السّلاح واستعماله، إضافة إلى عملها كممرضة ضمن الفريق الطّبي رفقة زبيدة ولد قابيلية، وتحت إشراف الدّكتور يوسف دمارجي؛ لتنتقل في نوفمبر 1958م إلى المنطقة السّابعة من الولاية الخامسة بعد أن استشهد كلّ من يوسف دمارجي يوم 19 أغسطس 1958م بمنطقة تافرنت، وزبيدة ولد قابيلية بضواحي معسكر 1958م، وواصلت نضالها وعملها كممرضة في المنطقة السّابعة إلى أن تمّ اعتقالها يوم 3 جانفي 1961م.

ما هي الأسباب الدّاعيّة إلى التحاق مريم مختاري بالثّورة التّحريريّة؟ وبأيّ نوع من المهمّات كلّفها جيش التّحرير الوطني؟ وما المصير الذي آلت إليه خلال فترة الثّورة التّحريريّة؟

الكلمات المفتاحيّة: مريم مختاري؛ الثّورة التّحريريّة؛ المرأة؛ الجزائر؛ يوسف دَمارجي؛ حرب العصابات؛ الولاية الخامسة؛ المجاهدين؛ الفريق الطّبي.

Abstract: *Algerian historians and researchers in the field of contemporary historical studies were interested in the period of the liberation revolution as a fundamental pillar of national history. In view of what the Algerian women have done at the level of the basic structures of the revolution and in the context of writing local history and exploiting the opportunities of the remaining Mujahideen alive, I decided to highlight the Mujahida Maryam Mokhtari from Tiaret region and the circumstances and reasons for her joining the revolution with other Algerian women, despite their young age. They resented their own youth and lives in order to raise the banner of freedom and independence. She joined the revolution at the age of seventeen years old، and was the first to join the sixth region of the fifth state on 19 November 1956 with the children of the region. Moreover, for example, not only bin Khattu Ali, Bouchareb Alnasser, Haloz Ahmed and others taught her guerrilla warfare and how to take up arms and use them. In addition to working as a nurse in the medical team accompanied by Zubaydah Ould Kabilia and under the supervision of Dr. Yousef Al-Damarji. In November 1958, she moved to the seventh region of the fifth state after the death of Yusuf Damardji in 19 August 1958 in Tavrent region, and Zubaida in 1958 in Mascara. She continued her struggle as a nurse in the 7th district until she was arrested on January 3, 1961. So, many questions are to be asked as ; what are the reasons for Maryam Mokhtari's accession to the liberation revolution? And what kinds of missions were entrusted by the National Liberation Army? What happened to her during the period of the liberation revolution?*

KeysWords: *Maryam Mokhtari; Liberation Revolution; Women; Algeria; Youssef Damarji; GuerrillaWar; Fifthstate; Mujahideh; Medical Team.*

مقدمة: شاركت المرأة الجزائريّة في النّضال من أجل الحريّة والاستقلال، وفي الغرب الجزائري وكبقية المناطق الجزائريّة برزت نساء جزائريّات دافعنّ عن الجزائر، حيث التحقن بجيش التّحرير الوطني، مِن هنّ مريم مختاري، وهي من المجاهدات اللّواتي لايزلنّ على قيد الحياة، والمولودة في 19 ديسمبر1938م الملّقبة بالاسم الثّوري "ثَوْرية" ابنة بن أحمد، وكباشي يمينة القاطنة بشارع بونوا فلوتي "Benoit Flutet" التي التحقت بالثّورة التّحريريّة في سنّ السّابعة عشر من عمرها، وكانت كغيرها تلحظ

الفرق ما بين الفرنسيّين والجزائريّين أو الأهالي كما كان يُصطلح عليهم من قِبل المستعمر في المجتمع والمدارس، حيث يكن الجزائريون يزاولون الدّراسة إلاّ في مدارس عُرفت بالمدارس الخاصّة بالأهالي[1].

إضافة إلى ما عايشته مريم مختاري، تذكر المجاهدة عائشة هاشمي بأنّ المرأة كانت تعاني من سياسة التّميّز العنصري في المجتمع الجزائري؛ فكانت ترى الظّلم والعنصريّة في كلّ مكان حتّى في المدارس؛ فأطفالها لا يحظون بحقّ التّمدرس، وإذا قُبِل البعض منهم يُعاملون بعنصريّة[2]، أمّا الفرنسي فكان يتمتّع بكافة حقوقه، بينما غالبيّة الجزائريّين كانوا محرومين يعانون تردّي الوضع المعيشي، ويعانون من القوانين التّعسفيّة[3]، التي استنكرتها الأحزاب الجزائريّة والجمعيّات، وعبّرت عنها عبْر صحفها ولقاءاتها السّياسيّة، ونذكر من بينها جمعية العلماء المسلمين التي حملت على عاتقها مسؤوليّة توعيّة الشّباب الجزائري بخطورة الوضع العام المتردّي، إضافة إلى غرسها لمبادئ الإسلام والوطنيّة، والعمل على تقويّة العزائم وشحذ الهمّم، واستجماع كلّ الطاقات البشريّة بما فيها النّساء[4].

عمل الاستعمار على أن تظّل المرأة الجزائريّة جاهلة، وذلك لأهميّة مكانتها في المجتمع كمربية للأجيال؛ فحرمت المرأة من التّعليم، كما تسرّبت إليها أفكار الجمود والتّحجر التي دعت إليها الطّرقيّة، والقلّة القليلة من الجزائريّين مَنْ كان يحرص على تعلّمها، وكان لجمعية العلماء المسلمين شرف الدّفاع عن العروبة والإسلام، ومن بين أهدافها تعليم الجيل الصاعد، ولن تتعلّم الأجيال إلاّ بتعليم الأمّهات وتهذيبهنّ.

وحرصا منها على عدم انتشار العلم والمعرفة في أوساط الجزائريّين عارضت السّلطات الاستعماريّة نشاط جمعيّة العلماء المسلمين، كما اعتبرت التّربيّة والتّعليم مرْفقًا يستفيد منه كلّ منْ كان فرنسيًا، أو أبدى لها الولاء من الجزائريّين[5].

وكغيرها من المناطق الجزائريّة شهدت تيارت نشاطا فعّالا لجمعية العلماء المسلمين، حيث كان المتمدرسون من الجزائريّين يتوجهون إلى مركز الجمعيّة بعد خروجهم من المدرسة الرسمية، وهناك يتلّقون دروسا في الوطنيّة، وتقول مريم مختاري: "إنّ الجمعية كانت حذرة في هذا الجانب، غير أنّها كانت تحثّنا على حبّ الوطن، وتقوم بتوعيتنا انطلاقا من واقع بلادنا مسلوبة الحريّة، التي كانت من دون

راية، وتذكرنا بوضع الجزائريّين المتردّي في كافة الجوانب؛ بينما كان الفرنسيون ينعمون بمكانة مرموقة وحقوق واسعة، وقد واظبت مريم على حضورها إلى مركز جمعية العلماء، وإن كانت تغيب أحيانا، فصديقتها سويدي ملوكة هي التي كانت تحضر، وتُعْلمها بما يُعْطى لهم من دروس[6].

وتضيف مريم مختاري بأنّها كانت ميسورة الحال في حين كان غيرها من الجزائريّين يعيشون حياة متردّية؛ فحبّها لوطنها، وتضامنها مع أبناء جلدتها هو ما جعلها تفكر بالالتحاق بصفوف جبهة التّحرير الوطني.

وممّا جعلها تُقْدم على الانضمام إلى صفوف جيش التّحرير الوطني التحاق ابن خالتها علي قيطون[7]، حينها أخذت تصرّ على خالتها تسهيل سبيل التحاقها بالثّورة، وقد زاد من حماستها، وتفكيرها الجدّي رحيل أخيها الذي كان يريد الالتحاق بالثّورة، وممّا عجّل بانضمامها إلى جيش التّحرير حدث مداهمة بيتها من قِبَل رجال الدّرك، وتحقيقهم مع عائلتها حول مكان أخيها المتوفى مختاري الصحراوي؛ فتدّخلت قائلة: "إنّه ميّت، واسأل إن كذبتني البلديّة أو المقبرة"، لكنّ الدّركي كذّبها، وهَمّ بصفعها لولا أنّ دركيًا آخر تدّخل لمنعه بحجّة أنّها أجابت على سؤاله ليس إلاّ، حينها قال: "جئنا اليوم لأجل أخيك، لكن المرّة القادمة سنأتي لأجلك"؛ فخافت كلاّ من والدتها وخالتها على ما سيلحقها؛ فأخذت في تجهيز نفسها للالتحاق بالثّورة والهروب من رجال الدّرك، ومنتظرة الجواب من ابن خالتها علي قيطون، وقبولها في صفوف جيش جبهة التّحرير، وقد قُبِلت بعد أن توسّط لها المجاهد لقرع مصطفى[8] لدى الثّوار، بخاصّة بعد معرفتهم بما لديها من مستوى دراسي ومكانة عائليّة، ليضرب لها موعد الالتحاق بصفوف جيش، وكان يوم السّبت 19 نوفمبر 1956م، أين كانت شرارة الثّورة لم تلتهب بعد بمنطقة تيارت، وتمّ التحاقها بالثّورة دون علم والدها- الذي كان هو الآخر يعمل لصالح الثّوار، ويقوم بتمويلهم-؛ فلم يكن ليقبل لو علم بذلك؛ فقد كانت الإبنة الأكثر قربًا منه، ومنْ تقوم على خدمته، وملازمته كلّ صباح قبل خروجه، كما كان يعتبرها فألاً حسنًا، لذلك انتهزت يوم 19 نوفمبر 1956م موعد خروجه إلى سوق المواشي، أين ودّعتها والدتها التي أوصتها بالمحافظة على اسم العائلة وشرفها والوفاء والالتزام بالأخلاق الحسنة، ومن ثمّ أودعها ابن خالتها إلى لقرع

مصطفى الذي كان ينتظر بسيارته من نوع سيتروان دياس (Citroen DS) عند محطّة السّكة الحديديّة التي كانت تأتي من غليزان إلى تيارت، قبل أن يقوم الجيش الفرنسي بنسفها.

وفي نفس السّياق تروي المجاهدة صليحة يخو "بأنّه كان على المرأة قبل أن تلتحق بصفوف جيش التّحرير الوطني أن تعثر على خيْط اتّصال، ويكون إمّا أحد الأقارب أو الجيران، أو صديقاتها المنضويات قبلها إلى الثّورة، وبعد إلحاحها، ونقْل رغبتها إلى المسؤولين، وبعد التأكد من هويتها، ونيّتها في العمل الثّوري، تُعْلم بتجهيز نفسها، وفي اليوم المحدّد تأتي سيارة، وتنقلها إلى مركز القيادة، وبمجرد الوصول إلى الجبل تُسْتقبل من طرف القائد أو نائبه، ويبدأ بمحاورتها حتّى يتعرّف على شخصيتها أكثر، وعلى مدى استعدادها للتّضحيّة في سبيل الوطن[9].

وتؤكد مريم مختاري على أنّ جهادها في سبيل الوطن كان أحسن طريق سلكته؛ فهي تعتبر الثّورة التّحريريّة أعظم مدرسة تعلّمت من خلالها حمل السلاح والتّمريض، حيث كانت تُعْطي لهن الدّروس، كما أنّها وجدت فيها المأمن والجو الأخوي، حيث كان معها أبناء الزّوايا حمَلة القرآن، والأطباء والمعلمين والمحامين، تذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر يوسف دمارجي، طبيب محلّف من فرنسا، ومصطفى اسطنبولي المحامي، وميلود حبيبي، وخالد يسعد عيساني، طالب في الطبّ، زبيدة صليحة ولد قابيلية، طالبة طبّ وهما من الطلبة الذين هربوا إلى المغرب، ومنه جاءوا إلى منطقة سعيدة التي كانت تضمّ العديد من المجاهدين المثقفين، وقد التحقت المجاهدة مريم مختاري بالمنطقة السّادسة[10]من الولاية الخامسة بالمركز المسمّى محمّد بوشارب أين التقت رئيس الفوج المدعو عبد الجبار، وبعدما استُقْبلت من قِبَل القائد يماني زهدور المدعو عبد الخالق، الذي قام بمحاورتها للتّأكد من صِدق نيّاتها في الانضمام إلى صفوف جبهة التّحرير الوطني[11]، حيث كان القائد عند التحاق أيّ مجاهدة يُوَجِّه لها خطابًا شديد اللّهجة يوضح فيه الحياة القاسيّة في الجبل، وكم كانت سعادته كبيرة عند رؤية صمود المرأة، وكيف أنّها لم تتأثر بسوداويّة الواقع الذي يعيشه المجاهدون، حيث حاول ترسيخه في ذهنها منذ البداية لاختبار ردّة فعلها[12].

وهو الأمر نفسه الذي أكّدته مريم مختاري قائلة: "عندما دخلتُ على قائد المنطقة قال لي: "يا ابنتي، هنا لايوجد لا مؤونة ولا مأوى ولا مأمن، وقد علمتُ أنّك ابنة موّال كنت تعيشين عيْشة مستقرّة آمنة، أمّا هنا فلن تجدي ما تعودت عليه، إضافة إلى وجود الأفاعي والعقارب"؛ فقلتُ له: "أقبلُ كلّ شيء"؛ فقال: "إذا لم توافقِي على هذا الوضع فارجعي من حيث أتيتِ"؛ فقلت: "إنّي قد أعطيت عهدًا لنفسي على أنْ أنْضمّ إليكم إن شاء الله"، حينها أحضر مصحفًا صغيرًا، وقال: "ضعي يدك يا ابنتي، واحلفي يمينًا بأن لا تخوني إخوانِك، وأخذ يتكلّم، وأنا أردّد"، وبعد الانتهاء قال: "سأختار لك اسمًا"؛ فقلت: "إنّني قد اخترتُ الاسم منذ خمسة أشهر"، قال: "فما اسمُكِ؟"، قلت: "ثورية"؛ فأكّد قائلا: "ثُرَيا أم ثُورِيّة؟، قلت: "بلى، "ثوْرِيَّة" اشتقاقًا من الثّورة"؛ فقال: "بارك الله فيك، إنّك بحقّ جنديّة ماهرة"[13].

وتروي مريم قائلة: "التحقْتُ بسَرِيَة الجيش التي كانت تحت قيادة شيب الطيب المدعو زكريا مجدوب أين تعلّمتُ كيفيّة استعمال السّلاح، وتدربْتُ على حرب العصابات[14]، كما شاركتُ في العديد من العمليّات العسكريّة بين جيش التّحرير والمستعمر الفرنسي، وفي إحدى الاشتباكات تعرّضتُ لحُمَى وصُداع رهيب نتيجة لما عايشتُ من قصْفٍ للطائرات ودويّ القنابل، حينها أخذني سي المجدوب إلى الدّكتور يوسف دَمارْجي لفحصي، لأعود بعدها إلى سرية الجيش حيث كنتُ".

وتضيف بأنّها "بعد شهرين أو ثلاثة من تاريخ فحْصي من قِبَل الدّكتور يوسف دمارجي، تلّقى شيب الطيب رسالة من الدّكتور؛ فناداني سي المجدوب، وتحدّث معي على انفراد وفي سرية، وأبلغني بأنّ الدّكتور يوسف قد بعث ورائي لأعمل معه، علْمًا أنّ زبيدة ولد قابيلية كانت قد سبقتني للعمل ضمن الفريق الطبّي تحت إشراف الدّكتور دمارجي بعد أن غادرتْ مقاعد الدّراسة في الجامعة، وكانت حينها قد اجتازت الثّلاث سنوات في كليّة الطبّ بالعاصمة".

أمّا بخصّوص ما طلب منّي؛ فقد تردّدتُ في قَبوله لأنّني قد ألِفتُ من كانوا معي ضمن سرية سي المجدوب؛ فقد كنتُ أعرف معظمهم، وأشعر كأنّني بين أهلي، وكان من بينهم علي بختو[15]، وبوشارب النّاصر16، وحمدي غالي، ومغراوي التّهامي، وأحمد

حلوز، وغيرهم، حينها اقترح عليّ بأنْ أُلبّي طلب الدّكتور لأتعلّم مهنة التّمريض، وقال لي: "لكِ الخيارُ، فإمّا أن تبقي مع الدّكتور، أو ترجعي إلى حيث أنتِ".

وقد حرص قادة الثّورة على الجانب الصّحي، وهو ما أقرّته قرارات مؤتمر الصومام الذي اندرج ضمن توصيّاته ضرورة تنظيم ودعْم مصلحة الصّحّة، وتطبيقا لِما جاء في التّوصيّات انعقد لقاء بجبال الزّبربر في سبتمبر 1956م، ضمّ اطارات السّلك الطّبي على مستوى الولاية الرّابعة، التي أقرّت وضْع نظام صحّي بتماشى مع ما جاء ضمن مؤتمر الصّومام؛ فأصبح لكلّ منطقة طبيبها الخاصّ، ومركزا صحيًّا يشرف عليه ممرض أو أكثر، ولكلّ كتيبة ممرض، إضافة إلى تقديم الإسعافات أثناء المعارك[17]، كما ساهم إضراب 19 ماي 1956م الذي كان من نتائجه التحاق الطلبة الجزائريّين بالثورة التّحريريّة، ممّا دعّم مصلحة الصّحّة إلى حدّ بعيد، وهو ما مكّن قيادات الثّورة من إنشاء مراكز صحيّة أدّت دورًا مهمًّا؛ سواء بالنّسبة لأفراد جيش التّحرير أو للمواطنين[18].

وعلى غرار قيادات الولايات الأخرى اهتمّت قيادات الولاية الخامسة بالجانب الصّحّي، وعملوا على تكوين فِرَق طبيّة يسودها الجو الأخوي والعمل المتفاني، وتروي المجاهدة مريم مختاري قائلة: "عند التحاقي بالفرقة الطّبيّة التي كانت تحت إشراف يوسف دمارجي، عانقتني المجاهدة زبيدة ولد قابلية كأنّها تعرفني منذ سنين، أمّا الدّكتور فقد رحّب بي، واعتبرني منذ انضمامي لفرقته كابنة له، وأنا بدوْري شعرتُ كأنّي مع والدي، غير أنّ ميزتُه في العمل الجدّيّة والتّفاني في العمل، وترجع أسباب تعامله لدرايته بعلم النّفس، فلا يمكن للطبيب أن يتخرّج في الحِقبة الاستعماريّة دون معرفته بعلم النّفس.

وبعد مدّة قصيرة من انضمامي إلى فريق يوسف الدّمارجي التحق بنا الطيّب مكي، وكان الدّكتور يُدَرِسنا كلّ مساء أساسيّات التّمريض، إضافة إلى منحنا كتابا يحتوي دروسا في الإسعافات الأوليّة، وكنّا حريصين متعاونين على فهم الدّروس ومراجعتها، ولم يكن مركزنا في مكان واحد؛ بل كان متنقلاً على حسَب تحركات الجيش الفرنسي، وعادة ما نلجأ إلى العائلات المخلصة، بخاصّة وأنّ الشّعب لم يكن كلّه على عِلْم بالثّورة وتنظيمها المُحْكم، نتيجة لسياسة فرنسا المضادة ودعاياتها المُغرضة.

وكانت النّسوة تفزعنّ، ويُغْمى عليهنّ عندما تشاهدنّنا بالزّي العسكري معتقدات أنّنا رجالاً؛ فنضطرّ لرشِهنّ بالماء، وبعد زوال أثر الإغماء نخبرهنّ بأنّنا أخواتهنّ المجاهدات في سبيل رفع الرّاية الوطنيّة وتحرير الوطن من أيدي الاستعمار، ونعمل على استمالتهنّ نفسيًا، كما نقدِّم لهنّ المساعدات الطّبيّة والإسعافات الأوّليّة وهو ما يخلق جوًا من التّقارب والأُلْفة بيننا وبينهم.

وبعد مدّة من ملازمتي للدّكتور دمارجي كلّفني بمهمّة تطهير الآلات الطّبيّة، وتعقيم جروح المرضى، كما كنتُ أحرص على نظافة المركز الطّبّي الذي كان عبارة عن خيْمة من الشَّعر أو كوخ من أغصان الأشجار والحلْفاء، حيث كنّا نقوم بتغطيته بستائر بيضاء، ونُجهزُه بصناديق مُنِحت لنا من العائلات المخلصة للثّورة تتمّ تغطيتها بفراش، ومن فوقه قطعة بلاستيك، وبهذا يتمّ تجهيزنا لطاولة التّمريض، وكانت بدايتي مع التّمريض تتمثّل في عملية التّلقيح، وحلاقة شعر الرّؤوس كعلاج من القَمْل، وبمرور حالات المرضى ومع ملازمتي الدّائمة للدّكتور دمارجي في العمليّات الجراحيّة اكتسبتُ العديد من الخبرات، وازددتُ تطوُرًا في طرق المعالجة، عِلمًا أنّه كان لا يبدأ معالجة المريض قبل البسملة؛ بل ويعطي لنا درسًا في أثَرِ البسملة على شفاء المريض.

أُنِيطْتُ بمسؤوليّة تتعلّق بالحياة أو الموت حرِصتُ كلّ الحِرْص على نظافة جُرْح المريض، وعدَمِ تعرُضه للالتهابات، كما كنّا نمنح ما يأتي به زكرياء المجدوب من أكلِ وفواكه للمرضى من المجاهدين بتدخل من الدّكتور دمارجي الذي كان حريصا هو الآخر على حياة المرضى واستعادتهم لعافيتهم، أمّا نحن فكنّا نكتفي بجلْب الفطريّات بعد أن علَّمنا الدّكتور كيفيّة اقتلاع الصّالح منها.

وتضيف المجاهدة مريم: "أمّا عن الأدويّة بأنّ زكريا المجدوب هو من كان يتكفل بجلبها لنا، إضافة إلى مساعدة الدّكتور كلود ستيفاني(Claude Stéfanini) صديق الثّورة، والذي ضحّى وجازف من أجل القضيّة الوطنيّة، حيث كان يقوم بإدراج الأدويّة- بعد أن تُعْطى له أسماؤها من قِبَل يوسف دمارجي- على وصْفات المدنيّين، ويتمّ شراؤها، ومن ثمّ تُرسل إلى جيش التّحرير، إضافة إلى مساعداته لعامّة الشّعب الجزائري المتمثلّة في فحْصهم، وإعطائهم الدّواء مجانًا، وفور وصول الأدويّة إلى جيش

التّحرير كان بن واضح بن زينب وحده المسؤول عنها، حتّى لا يتمكّن الجيش الفرنسي من معرفة مكانها، وذلك ما يجسد أهميّة العمل السّري في إنجاح الثّورة التّحريريّة".

وتروي المجاهدة مريم قائلة: "مِن المجاهدين الذين عالجتُهم أذكر على سبيل المثال لا الحصر كلاً من حمو لعرج ورونشي عبد القادر، وقد تعرّض هذا الأخير لإصابة خطيرة غير أنّ الله أطال عمره، وقد عُيّن مُقدّما في جيش التّحرير الوطني بعد الاستقلال".

لقد كانت الأوضاع الصّحيّة جدّ مزريّة قبل وأثناء الثّورة التّحريريّة، بخاصّة مَن كان يعيش مع الشّعب الجزائري في القرى والجبال والأحياء الفقيرة، وذلك نظرًا لعدم توفر الأطباء الجزائريّين، فتخصُّص الطّبّ في الجامعة لم يكن مسموحا به لكافة الجزائريّين، إلاّ لمن ترضى عنهم فرنسا من أبناء الأعيان والقياد والبشاغوات، فضلا على تكاليف العلاج لدى الأطباء الفرنسيّين، وعادة ما كان يلجأ الجزائريون إلى الطّبّ التّقليدي[19].

وتروي مريم مختاري مشاركاتها ضمن حملات التّمريض التّحسيسيّة قائلة: "إنّنا اكتشفنا من خلالها الواقع الاجتماعي للشّعب الجزائري، كأنّهم قومًا ليسوا كبقيّة الأقوام؛ فالنّساء قد غطّى جمالهنّ الأوساخ رغم توفر المياه، إضافة إلى العراء واللّباس غير المكتمل".

وتُشبهنّ مريم مختاري بقبائل بلاد الغال قائلة: "إنّني لم أُصَدِق ما عايشتُ من أحداث، وكأنّني أشاهد قبائل بلاد الغال (Gaulois) أمّامي الذين درستُ عنهم في المدرسة".

وتضيف المجاهدة بأنّه: "زيادة عن الوضع الاجتماعي المتردّي، انتشر في أوساط الشّعب الجزائري القمْل بكلّ أنواعه، وأثناء تواجدنا كنّا نعطي للمصابين الدّواء، غير أنّنا خشيْنا أن يعرف الاستعمار بذلك؛ فأبدلناه بدواء الطّبّ التّقليدي المتمثل في الحنّة والحلْبة، نقوم بربْطها على رؤوسهم".

إضافة إلى التّمريض وحملات التّحسيس، كانت المجاهدة مريم تقوم رفقة الشّهيدة زبيدة ولد قابيلية بتعليم الجنديّات الملتحقات بجيش التّحرير وتكوينهنّ؛

فتشرف على المتعلّمات منهنّ زبيدة ولد قابيلية بإعطائهنّ الدّروس، وعليهنّ جميعا تشرف المجاهدة مريم مختاري بتدريبهنّ عمليًا[20].

ما كادت تحلّ سنة 1956م حتّى ضمّت جبهة التّحرير إلى صفوفها مختلف الشّرائح الاجتماعيّة من معلّمات وممرضات وطبيبات، وطالبات تتراوح أعمارهنّ ما بين 16 و30 سنة، ومع مرور السّنوات تطورت أفكارهنّ، وأثبتن كفاحهن بتحملهنّ الصّعاب والمسؤوليّات المنوطة بهنّ، ولم يقتصر دورهنّ على التّمريض فحسب؛ بل تعدّاه إلى تقديم النّصائح، وتوعيّة السّكان بوضعهم المعيشي، وكان عملهنّ متكاملا بين السّياسي والثّقافي تارة، والإجتماعي والصّحّي تارة أخرى[21].

وهو ما أكّدته مريم مختاري في شهادتها التي أدْلت لي بها، حيث كانت مثال المرأة المجاهدة التي تحمّلت الصّعاب، وواجهت العدو وقهرته، وممّا روتْه المجاهدة عن انتقامها من أحد الضّباط الفرنسيّين عندما كانت في السّجن قائلة: "اتفقتُ مع مجاهدتين كانتا معي في السّجن وهما بن عمارة فاطمة وبن بعلى الزّهرة للانتقام من أحد الضّباط الذي كان يُهيننا كلّما مرّ بقوله: "فلنُعْط الأولويّة للذّئاب المتوحشة"، فنَصبنا خطّة للنّيل منه، وقد اخترنا اليوم الذي أُعدت فيه مأدُبة لأحد الجنرالات، أمّا نحن فكنّا في إضراب عن الطّعام لليوم الثّالث، وذلك مازاد من حماسنا في الانتقام، وكانت الخطّة بأنْ أقبض عليه، أمّا فاطمة والزّهرة فقد انهالتا عليه بأظافرهنّ، لكنّه لم يُبَلِّغ عنّا لشعوره بالخِزْي والعار، إلاّ أنّنا نودينا في الصّباح الباكر، وتمّ نقلُنا إلى سجن أخر".

أمّا عن صُوَرها المخلّدة في الأرشيف؛ فتذكر مريم مختاري أنّها عندما كانت بالمنطقة السّادسة من الولاية الخامسة، زار صحفي أمريكي الجزائر[22]، وقام بالتقاط صُوَر عن الثّورة، وكانت من بينها صُوَر للمجاهدة مريم أثناء قيامها بعمليات التّمريض، حيث كان مركزنا بنواحي الحساسنة بمنطقة سعيدة، كما تضيف بأنّه تردّد كثيرا على المنطقة السّادسة، حيث كان الدّكتور يوسف دمارجي لمعرفة هذا الأخير باللّغة الإنجليزيّة.

وبعد استشهاد كلٍّ من يوسف دمارجي يوم 19 أغسطس 1958م بمنطقة تافرنت، وزبيدة ولد قابيلية بضواحي معسكر 1958م، انتقلت مريم مختاري إلى

المنطقة السّابعة[23] من الولاية الخامسة في أواخر نوفمبر 1958م، أين واصلت نضالها إلى أن تمّ اعتقالها يوم 3 جانفي 1961م بمنطقة الجبيل في نواحي تاقين (زمالة الأمير) بالقرب من قصر الشّلالة، عِلْمًا أنّه قد قُبض عليها في نوفمبر 1957م وأحيلت إلى سجن بالول بضواحي معسكر، لكنّها تمكّنت من الهروب بمساعدة دركي متعاون مع جيش التّحرير، وفي المرّة الثّانيّة بقيت في السّجن إلى غاية إعلان الاستقلال[24].

خاتمة: من خلال هذه المقالة التي اعتمدت فيها كثيرا على شهادة إحدى المجاهدات اللواتي شاركن في ثورة التحرير الكبير يتبين الدور الكبير والهام الذي قامت به المجاهدة مريم مختاري وأخواتها من النّساء الجزائريّات في سبيل تحقيق الهدف السامي الذي سطره قادة ثورة أول توفمبر 1954 ألا وهو تحقيق الاستقلال والتخلص من الاستعمار الفرنسي الذي جثم على أرض الجزائر أزيد من مائة وثلاثين سنة أذاق فيها الشعب الجزائري كل أنواع الظلم.

الهوامش:

1- مريم مختاري، مقابلة يوم 13 أكتوبر 2018م على السّاعة 5 مساء، بمقرّ سكناها الكائن بوسط مدينة تيارت.

2- بكرادة جازية، دور المرأة الجزائريّة في الثّورة التّحريريّة بالولاية الخامسة 1962/1954م، أطروحة دكتوراه، جامعة أبوبكر بلقايد- تلمسان- السّنة الجامعيّة- 2017/2016م، ص20 .

3- مريم مختاري، المصدر نفسه.

4- بن خليف مالك، الفكر السّياسي عند العلاّمة عبد الحميد بن باديس، دار ، طليطلة، الجزائر، ط1، 2010، صص334-335 .

5. أمحمد بن علي، واقع التّربيّة والتّعليم في الجزائر خلال مرحلة الإستعمار الفرنسي، مجلّة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر- جامعة وهران، ع1، 2011م، ص 144 .

6- مريم مختاري، المصدر نفسه.

7- كان جندي في الجيش الفرنسي، هرب من الثّكنة العسكريّة والتحق بصفوف جيش التّحرير الوطني بالمنطقة الرّابعة بالولاية الخامسة. مريم مخاري، المصدر نفسه.

8- كان برتبة قايد لدى الإدارة الإستعماريّة، ولا يزال على قيد الحياة.

9- بكرادة جازية، مرجع سابق، ص 101، بتصرف.

10- المنطقة السّادسة من الولاية الخامسة تضمّ أربع نواحي الأولى، من بن شغران والحشم، والنّاحيّة الثّانيّة، تافرنت وضواحيها، والثّالثة، سفيزف، وجبال قرسوط، والرّابعة، سيدي خلف الله، والصحاري إلى حدود البيض قريب من النّاحيّة الثّالثة من المنطقة السّابعة من الو لاية الخامسة. مريم مختاري، مصدر سابق.

11- مريم مختاري، مصدر نفسه.

12- بكرادة جازية، مرجع سابق.

13- مريم مختاري، مرجع سابق.

14- حرب العصابات (la guerilla) تعود جذورها إلى العصور الحديثة في المعارك التي قادتها الجماعات المسلحة الإسبانيّة غير الرّسميّة ضدّ جيوش نابليون بونابرت الكلاسكيّة ما بين 1804 و1810م . أمّا في عصرنا، فحرب العصابات استُعملت في كثير من

الدّول لطرد خصم أجنبي، أو للإطاحة بنظام متعفن، وكونها أحدث أنواع الحروب الثّوريّة. انظر دحو فغور، حرب العصابات، الذّاكرة، مجلّة الدّراسات التّاريخيّة للمقاومة والثّورة الجزائريّة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ص166.

15- بختو علي، من أهمّ شخصيات الحركة الوطنيّة بمنطقة تيارت، ساهم من خلال محلّ الحلاقة في نشر الوعي السّياسي، ذُكر في العديد من تقارير الإدارة الإستعماريّة، يعدّ من أنشط أعضاء حزب الشّعب الجزائري (PPA MTLD)، ومن أبرز أعضاء المنظمة الخاصّة، كما أنّ اسمه قد ورد ضمن أعضاء المنظمة الخاصّة الذين تمّ القبض عليهم، إضافة إلى مشاركته في الثّورة التّحريريّة إلى غاية استشهاده. أنظر

Tiaret le 5 mais 1950 .. Arrestations chez des éléments nationalistes، Oran 366،A.O.M

عبد القادر وقواق، المرافعة الكبرى، منشورات دحلب، الجزائر، 1993، ص103/بلوفة جيلالي عبد القادر، مظاهر من نشاط الحركة الاستقلاليّة في منطقة تيارت 1939-1951م، مجلّة الخلدونيّة، جامعة، تيارت، عدد خاص، أكتوبر2009م، ص266 .

16- تشير التّقارير التي تحصّلتُ عليها من أرشيف ماوراء البحار بأنّه كان من أنشط شخصيات الحركة الوطنيّة في حزب (PPA MTLD)، كما يعدّ من أبرز أعضاء المنظمة الخاصّة، حيث كان مسؤولا عليها بجبل النّاظور، انضمّ إلى صفوف جيش التّحرير إلى غاية استشهادة. انظر

Tiaret le 9 septembre 1948 .. du passage à Tiaret de GOURCHALI Mahieddine، Oran 112،A.O.M

بلوفة جيلالي عبد القادر، مرجع سابق.

17- عائشة حسيني، التّنظيم الصّحّي ودوره في دعم الثّورة التّحريريّة الجزائريّة الولاية الرّابعة نموذجا، مجلّة المرآة، مخبر الدّراسات المغاربيّة، جامعة وهران1، ع 2، ص41 .

18- نفس المرجع، ص 42 .

19- بكرادة جازية، مرجع سابق، ص 130.

20- مريم مختاري.

21- محمّد غربي، المرأة والثّورة الجزائريّة، المجلّة المغاربيّة للدّراسات التّاريخيّة والاجتماعيّة، سيدي بلعباس، ع4، ديسمبر 2011م، صص260-261 .

22- وقد يكون الصّحفي الأمريكي الذي تكلمت عليه المجاهدة هو جوزيف كرافت (Joseph Kraft) الصّحفي الأمريكي المولود في 4 سبتمبر 1924م، المتوفى سنة 1986م، كتَب كتابًا بعنوان، النّضال من أجل الجزائر. انظر *The Struggle for Algeria* الصادر 1961؛ https،.en.wikipedia.org/wiki/Joseph_Kraft// وهو الصحفي الذي ذكره محمّد خلادي في كتابه "من بوصوف إلى كيندي، حرية وعقيدة"، ويتضمّن 346 صفحة، الصّادر عن مطبوعات دار القصبة، وصرّح قائلا: "تمّ تكليفي بالذّهاب إلى إسبانيا، حيث استطعتُ الاتّصال هاتفيا بالصّحفي الأمريكي الذي قبِل القيّام بتحقيق صحفي مع المحاربين الجزائريّين، وعاش بالتّالي لمدّة شهر في الجبال الجزائريّة، وبخاصة في مناطق تلمسان وسيدي بلعباس". انظر

//www.aps.dz/ar/culture/50006-2017-11-19-11-42-06،http

ويذكر أبو القاسم سعد الله أنّ العلاقات الأمريكيّة الجزائريّة قد تمثّلت في الاتّصال غير الرّسمي مع بعض قادة الثّورة، وهو ما سبقت الإشارة إليه، كما فتحت جبهة التّحرير مكتبا لها في نيويورك، إضافة إلى تصريح جون كنيدي سنة 1957م الذي هزّ الكونغرس الأمريكي بدعوته لتغيّير سياسة بلادة نحو الجزائر، والاعتراف لها بحقّ تقرير المصير والاستقلال . انظر أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، ج 3، 2009، ص168.

23- المنطقة السّابعة، النّاحية الأولى- حدودها مع االمنطقةالرّابعة للولاية الرّابعة الجزائر والمنطقة الرّابعة لولاية غليزان- وهي ناحية الونشريس ومطماطة والثّانيّة، كرمس ومدريسة وضواحيها، والثّالثة، تاخمرت والجبليّة إلى واد الأبطال، والرّابعة من السوقر وعين الذّهب وتاقين وحدودها مع قصر الشّلالة. انظر، مريم مختاري، مصدر سابق.

24- مريم مختاري، المصدر نفسه.